تساؤلات حول مصير الأجندة الاصلاحية ودعوات لتحديد المفاهيم والأهداف أولا

الأردن: جرعات «تفاؤل» للاصلاحيين والموضة السعي للتغيير

عمان ـ «القدس العربي»

من بسام البدارين:

خيارات بعض الوزراء في الحكومة الأردنية طوال الأسابيع العشرة الماضية انحصرت في السعي «لاصلاح» الأمور الصالحة أصلا مما يعني العبث بالملفات التي وضعت على السكة وافسادها وارباكها رغم ان عنوان التحرك هو اصلاح ما يحتاج للاصلاح.

وبهذه الخيارات يمتنع هؤلاء الوزراء عن تطبيق قاعدة بسيطة وشهيرة في الادارة العامة تقول: «لا تحاول اصلاح الأمور الجيدة».. وبهذا المعنى عاد بعض المسؤولين في حكومة معروف البخيت الى المنتج لكي يعيدوا انتاجه والى المنجز لكي يتحاوروا مع المجتمع حول أفضل السبل لاعادة انجازه.

وهذه المفارقة يمكن التقاطها بأكثر من مجال فتجربة الغاء وزارة الاعلام من الحياة العامة كخيار ديمقراطي واصلاحي استقرت وبعض أركان مجلس الوزراء يتحدثون الآن وبعد ان استقرت التجربة عن الحاجة الملحة لمؤسسة بديلة ترث هذه الوزارة غير المأسوف عليها عمليا.

وحتى الآن لم تحدد هوية المؤسسة البديلة المقترحة لكن الأفكار كثيرة ومتقاطعة وتجربة المجلس الأعلى للاعلام استقرت ايضا وبدأت تنتج لكن البعض داخل الحكومة يفكر بالغاء المجلس كخطوة اصلاحية رغم ان وجود المجلس كان أصلا خطوة اصلاحية في مجال القطاع العام.

واستنادا الى رئيس المجلس ابراهيم عز الدين فقد ابلغه رئيس الحكومة البخيت بانه يفكر في تعزيز مسيرة المجلس بمنحه «سلطات تنفيذية» لكن عز الدين وباسم المجلس قال للحكومة بوضوح «شكرا لا نريد سلطات تنفيذ ونحن مسرورون بدونها».. ويتحدث البخيت عن سلطات تنفيذية للمجلس الأعلى فيما يقرأ وزراؤه تقارير تقترح الغاء المجلس ككل ووجهة نظر المخضرم عز الدين بسيطة وتقول: سننتج أفضل لو بقينا مؤسسة اعتبارية وبدون صلاحيات تنفيذية.

وفي الواقع يعرف عز الدين ورفاقه في المجلس الأعلى بان منحهم سلطات تنفيذية يجعل الحكومة هي الطرف المتحكم بهم ولذلك يعتذرون عن قبول هذا الامتياز لكن الغريب ان البعض ما زال يحاول اصلاح المشهد الاعلامي باقتراح الغاء المجلس الأعلى وتحديدا بعد ان خرج من الخداج وأظهر مساحة لا يستهان بها من الجرأة والاستقلالية والنقد للأداء التنفيذي بصفته مؤسسة محكمة ووسيطة.

وعلى صعيد التنمية السياسية ثمة شعور بأن الحكومة تحاول اصلاح الصالح أصلا عبر العودة للمربع الأول بعناوين تجاوزها الزمن مثل التحاور مع الأحزاب والقوى المدنية رغم ان الشعب الأردني شبع حوارات ويريد منجزات. وفي التنمية السياسية لا أحد يعرف بصورة محددة ما الذي تخطط لفعله وزارة البخيت حاليا رغم ان بين يديها وصفة جاهزة للاصلاح السياسي متعوب عليها ومنجزة وتحمل اسم وثيقة الأجندة الوطنية وهي وثيقة قال رئيس الحكومة انه سيأخذ منها المتفق عليه وسيتجاور مع الآخرين على المختلف عليه منها.

وعلى صعيد ملف البلديات قامت الحكومة بانعطافة اصلاحية غير متوقعة ومثيرة لاصلاح وضع قالت الحكومة السابقة الذي تسببت به انها أصلحته فالبلديات كانت منتخبة لكن حكومة علي ابو الراغب قبل سنوات اخترعت وصفتها الاصلاحية لمواجهة الفساد المالي والخدماتي والاداري في البلديات فقررت نصف انتخاب ونصف تعيين والآن انقلبت وزارة البخيت وعادت للانتخاب الكامل لاصلاح مشهد بيع على المواطنين على أساس انه اصلاحي أصلا.

ويبدو ان الجميع في عمان «يتسلى» بالانقضاض على المنجز السابق بقصد اصلاح ما تم اصلاحه سابقا وهذا العبور غير الموفق بين مساحات الاصلاح يسيء لنبل الفكرة ولجوهر المسألة الاصلاحية التي غادر رموزها الأشرس جميع مواقع العمل الرسمي اما باتجاه التقاعد او باتجاه القطاع الخاص.

وحتى مؤسسة التلفزيون التي تم اصلاحها او هذا ما قيل قبل عام ونصف تغير مجلسها ادراتها مؤخرا لأسباب غامضة لكن السلطات قالت ان الهدف اصلاح الخلل الاداري في هذه المؤسسة وفي اللحظة التي فهم فيها مجلس ادارة التلفزيون «الاصلاحي» ان عليه الانسحاب من المشهد والاستقالة كانت أطراف أخرى تتدخل وتفاوض رموز مجلس الادارة على اساس ان تحركهم مدعوم ومضمون.

والمشكلة ان الاصلاحيين الذين انسحبوا من المشهد السياسي ودوائر القرار يتم حقنهم بين الحين والآخر بجرعات من التفاؤل تثبت لهم ولأنصارهم بأن الاصلاح ما زال البرنامج المتفق عليه رغم ان بعضهم بدأ يميل للتشكك والتشكيك وبعضهم الآخر لم يعد يفهم ما الذي يجري.

وخيارات القصر الملكي الاصلاحية هي الوحيدة تقريبا التي بقيت ثابتة اما سلوكيات الحكوميات المتعاقبة فتعبث بالاصلاح وأفكاره وبرامجه يوميا بقصد اصلاح الاصلاح في اطار موضة يمكن القول انها موضة المرحلة والعصر، فوسط الجدال النخبوي المتنامي بين كل الأطراف دخلت مفاهيم الاصلاح نفسها في الأردن في مرحلة انعدام الوزن والتوهان.

والأسوأ ان عقل الادارة الحكومية لم يحدد بعد مفاهيم متفق عليها للاصلاح ولا لأدواته. ومن الواضح ان الأدوات المستغلة حاليا في اطار الحكومة لا تحقق الأهداف المعلنة اصلاحيا ولذلك لا احد يعرف اليوم في عمان ما هو الاصلاح المطلوب او المنشود وما هي أدواته، ولا احد يبدو مستعدا لدفع تكلفة العملية الاصلاحية التي تقود ببساطة للقضاء على العديد من الامتيازات الفردية والتي تحقق مضامين العدالة والمساواة والكفاءة مما يعني خروج الكثيرين من مستويات الشهرة والنفوذ والتأثير والقرار.

ويأخذ كثيرون على التجربة الاصلاحية انها اكتفت طوال السنين الست الماضية بالتحدث في المضامين بدون تحديد وتعريف الارهاب ورغم ان وثيقة الأجندة الوطنية ساهمت مؤخرا في وضع بعض التعريفات وتحديد بعض المفاهيم الا ان تخوف الحكومات من سطوة الأجندة على صلاحياتها أضعف تأثير الوثيقة نفسها في المجريات الاصلاحية العملية وقلص حضورها خصوصا بعدما وجد عدة رؤساء وزارات ان حقوقهم الرئاسية تشمل أولا وقبل كل شيء وضع برامج مستقلة لعملهم في ضوء الوقائع وبعيدا عن الوثيقة التي قال مصدروها سابقا وعلى رأسهم الدكتور مروان المعشر انها صالحة للتنفيذ لمدة عشر سنوات.

والآن ثمة حالة توقف عند حدود هذه المسألة فحتى الاصلاحيون المنسحبون من الحياة العامة يتحدثون عن استدراكات وتوقفات تأمل هدفها تحديد المفاهيم والمطلوب أولا قبل الاكثار من الحديث عن الإصلاح علما بان الحكومة الحالية تعتبر نفسها ليبرالية واصلاحية.

معروف البخيت

تحضره الجامعة العربية وشخصيات اسلامية مرموقة

تحضيرات لاول مؤتمر لرجال الدين العراقيين في عمان تسعى لوقف التناحر وايجاد حل سياسي

عمان ـ «القدس العربي»:

يضم العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني صوته إلى نخبة من القادة وجهاء العشائر العراقيين في الدعوة الى انهاء العنف والتوتر الديني في العراق عبر المؤتمر الجماعي الذي يعقد في عمان لرجال الدين العراقيين والعرب في 22 من الشهر الجاري برعاية مباشرة من الملك عبدالله.

ووفقا لبيان أصدرته مؤسسة آل البيت المنظمة للمؤتمر سيصدر عن المؤتمر بيان ختامي يوقع عليه المشاركون يبينون فيه ان ليس هناك اي اساس او سبب شرعي ديني للعداء او الاقتتال بين الشيعة والسنة.

وإعتبرت المؤسسة ان مؤتمر الوفاق والاتفاق العراقي الاسلامي خطوة هامة واساسية في انهاء العنف في العراق وفي تعزيز وحدته واستقراره وهذه الاهداف لا يمكن تحقيقها دون التوصل الى حل سياسي ينهي الاقتتال في العراق والذي بدوره لا يمكن تحقيقه دون التوصل الى تفاهم وتوافق ديني بين الفرقاء المعنيين يمكنهم من الوقوف على ارضية دينية وفكرية مشتركة فما يجري في العراق من توتر واقتتال يستثمر خلف دواع دينية طائفية لا يبررها ديننا الاسلامي الحنيف ومن هذا المنطلق فان الاردن يهدف الى تنقية الاطار الفكري تمهيدا الى التوصل الى حل عملي ينهي العنف والاقتتال في العراق.

ويسعى مؤتمر الوفاق والاتفاق العراقي الاسلامي في هذا السياق الى ازالة التوترات استنادا الى المبادىء الاساسية التي يشترك فيها جميع المسلمين وهو بهذا لا يشكل فقط خطوة اساسية هامة في ازالة الاحتقان فيما يتصل بالتوتر بين ابناء الشعب والدين الواحد بل سيعمل ايضا على تمهيد الطريق امام تحقيق حل سياسي نهائي ودائم في العراق.

وسيشارك في المؤتمر الذي يعقد بالتعاون بين المملكة الاردنية الهاشمية وجامعة الدول العربية عدد من القيادات الدينية المرموقة من العالم الاسلامي بمن فيهم ابرز القيادات الدينية من مصر والمملكة العربية السعودية وتركيا وسورية وجمهورية ايران الاسلامية بالاضافة الى عدد اخر من كبار الشخصيات الدينية في الدول العربية.

وستتحدث في المؤتمر قيادات تمثل السنة والشيعة من العرب والاكراد العراقيين وسينضم الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر والامين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى الى الملك عبد الله الثاني في التنديد بالتفسيرات المتطرفة للاسلام التي تغذي العنف الطائفي في العراق وسيؤكدون معا القيم والمبادىء النبيلة التي تشترك فيها جميع المذاهب والمدارس الفكرية الاسلامية وهذا الوفاق والاتفاق الديني هو امر اساسي يأمل الاردن بتحقيقه لتمهيد الطريق امام عملية الوفاق السياسي ومن ثم احلال السلام في العراق وضمان عدم انتشار ظاهرة العنف والارهاب والتوترات الدينية الى اي مكان اخر.

وقالت مؤسسة آل البيت ان مؤتمر الوفاق والاتفاق العراقي الاسلامي سيبني على ما حققه المؤتمر الاسلامي الدولي حول «حقيقة الاسلام ودوره في المجتمع المعاصر» الذي استضافه الملك عبدالله الثاني في عمان خلال الفترة ما بين 4ـ6 تموز (يوليو) 2005 والبيان الختامي لذلك المؤتمر الذي وقع عليه المشاركون فيه الذين زاد عددهم على 180 عالما يمثلون 45 بلدا والذي استند الى عشرين فتوى كان قد اصدرها عشرون من العلماء المسلمين البارزين في العالم قبل المؤتمر مباشرة بمن فيهم الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر ومفتي الاردن ومفتي سلطنة عمان والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، حظي بتوافق اجماعي يدين ممارسات التكفير التي يلجأ اليها المتطرفون لتبرير العنف.

كما اقر البيان بشرعية جميع المذاهب الاسلامية الثمانية المعروفة السنية منها والشيعية والاباضية بمن فيهم اصحاب العقيدة الاشعرية ومن يمارس التصوف الصحيح واصحاب الفكر السلفي الصحيح وبين المبادئ والمعتقدات المشتركة بينها، من ثم الشروط والمؤهلات التي يجب توافرها فيمن يتصدي للفتوى نازعا بذلك غطاء الشرعية عن تلك «الفتاوى» المزعومة التي تبرر الارهاب باعتبارها خارجة عن قواعد الشريعة الاسلامية وتمثل انتهاكا لما استقر من مبادئ الاسلام الاساسية وثوابته وبتوصية من الاردن ومتابعة حثيثة من الاردن والعراق معا ثم تبني هذا التوافق الاسلامي التاريخي من قبل العالم الاسلامي بأجمعه في مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقدته منظمة المؤتمر الاسلامي في مكة المكرمة في كانون الاول (ديسمبر) 2005 وسيشكل هذا التوافق الاساس الفكري للبيان الختامي لمؤتمر الوفاق والاتفاق العراقي الاسلامي.

الحكومة تخطط للاستيلاء على الصناديق الخاصة لتغطي عجزها.. ومعركة حول حق القضاة بمقابلة «هيومان رايتس» واخرى حول الختان وزرع الاعضاء

تشبيه النظام بالخديوي اسماعيل لبيعه مصر.. وتحليل نفسي لحركات اصابع جمال باعتباره الرئيس القادم.. ورقابة على المصريات بالخليج

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الاخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة امس الخميس عن اجتماع مجلس الوزراء وموافقته على مشروع مكافحة الارهاب وتعديل بعض نصوص قانون الاجراءات الجنائية الذي اعدته لجنة اعداد المشروع ووافق المجلس ايضا على قرار بتخفيض الضرائب العقارية على المباني والزراعية من 14 % الى 10 % وموافقة لجنة الاقتراحات بمجلس الشعب على اضافة مادة جديدة لقانون العقوبات نص على السجن خمس سنوات وغرامة لا تقل عن مئة الف جنيه لكل من يعتدي او يستهزئ بالقول أو الرسم او الاشارة من نبي أو رسول أو دين من الأديان التي تمارس شعائرها علنا، واجتماع وزير الداخلية اللواء حبيب العادلي مع مساعديه واعضاء المجلس الاعلى للشرطة وتأكيده ان الوزارة لا تتدخل في الصراعات التي تحدث داخل الاحزاب السياسية وأن محاولات الاساءة للشرطة فشلت وهو يقصد بذلك الحملات التي لا تتوقف التي تشنها صحف «العربي» و«الدستور» و«صوت الأمة» بشكل خاص وتصريحات للمفتي الدكتور جمعة ياسين بجواز زرع الاعضاء وعدم وجود سنة نبوية لختان البنات واصابة جديدة للطيور ومطالبة اعضاء المجلس المحلي لمحافظة أسوان بتشديد الرقابة على المراكب السياحية المخالفة لشروط البيئة وبدء لجنة النظام والادارة الخاصة بامتحانات الثانوية العامة في اعداد بطاقات أرقام الجلوس للمرحلتين الثانية والثالثة التي ستجرى يومي 10 و11 من شهر حزيران (يونيو) القادم واستمرار النيابة العامة في تحقيقاتها مع المتهمين من أنصار رئيس حزب الوفد السابق الدكتور نعمان جمعة والقبض على عدد آخر من الفارين الذين شاركوا في اقتحام مقر الحزب والاعتداء على صحافيي الجريدة وسقوط أمطار غزيرة والاستعدادات للمولد النبوي الشريف والاحتفال بيوم اليتيم ومناقشات مجلس الشعب وبدء المحافظات الساحلية اعداد شواطئها استعدادا لفصل الصيف، واعلان عائشة عبدالهادي وزيرة القوى العاملة عن منع منح تصاريح عمل للمصريات الراغبات في العمل خادمات وكوافيرات في دول الخليج حفاظا على سمعة المرأة المصرية، والى أبرز ما لدينا اليوم:

قضايا ومناقشات

ونبدأ بالقضايا والمناقشات وأولها للمؤرخ الدكتور رؤوف عباس الذي طالب في دراسة له بجريدة «الكرامة» ـ لسان حال حزب الكرامة تحت التأسيس ـ المعارضة بانشاء قيادة طوارئ استعدادا لقيادة الثورة الشعبية القادمة ضد النظام حتى لا تضيع هباء، أو يستولي على نتائجها من ليسوا منها مثلما حدث في فترات تاريخية سابقة. وبعد ان استعرض عددا من النماذج قال: «وإذا كان البركان سوف ينفجر دون سابق انذار والطوفان سوف يجتاح كل ما يقف في طريقه لا محالة يجب على الحركة السياسية المصرية ان تعد للأمر عدته فتقيم ـ قيادة الطوارئ ـ التي تعمل على ترشيد ثورة البركان وتوجيه حممه الوجهة التي تخدم البناء المستهدف وتتأهب لتحديد الطريق التي يتجه اليها الطوفان حتى لا يخلف وراءه الآثار السلبية التي تمكن قوى الاستبداد والطغيان من لملمة أنقاضها والعودة من جديد.

قيادة الطوارئ ـ مطلوبة اليوم بإلحاح وتعني في تصوري تكوين جبهة وطنية من القوى السياسية المعادية للظلم والفساد والاستبداد وتلتف حول برنامج وطني يمثل الحد الادنى من المطالب التي يلتقي حولها فرقاء الجبهة الوطنية، والخطوط العريضة لاعادة بناء النظام السياسي على أسس ديمقراطية واعادة بناء الاقتصاد الوطني بما يكفل الحياة الكريمة لجميع المصريين دون اقصاء أو تهميش أو استثناء، وإعادة مصر الى موقعها الاقليمي والدولي.

لقد أنفقنا وقتا طويلا في تشخيص الداء، وآن لنا ان نضع وصفة العلاج، وأن يتم التحام حقيقي بين الجبهة الوطنية المقترحة والجماهير قبل ان يحول الطوفان الجميع الى أنقاض».

ومن قيادة الثورة الشعبية القادمة الى الدفاع عن منظمة هيومان رايتس ووتش الامريكية ضد الحملة التي تعرضت لها بسبب موافقة مجلس ادارة نادي القضاة على استقبال وفد منها، تم تأجيله اللقاء، والدفاع تولاه في «الوفد» يوم الاربعاء الدكتور الشافعي بشير، الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة المنصورة وفيه قال عن المنظمة:

عندما قرأنا توصيات منظمة الميدل إيست ووتش الموجهة للحكومة الامريكية بأن تقطع أو تقلل المعونة المالية لمصر إذا لم تصل سياستها في مجال حقوق الانسان، غضبنا واتصلنا بالسيدة فرجينيا بشري رئيس لجنة تقصي الحقائق وسألناها، هل طلبت من الحكومة الامريكية ان تعاقب اسرائيل بمنع المعونات المالية عنها بسبب سجلها الاسود في حقوق الانسان، فقالت: نعم، وأرسلت الينا تقريرها عن اسرائيل الصادر في تموز (يوليو) 1993 بعنوان ـ رخصة للقتل ـ ويقع في 264 صفحة حافلة بإدانة جرائم اسرائيل ضد الفلسطينيين ودعت في صفحتي 31 و32 الحكومة الأمريكية لأن تستخدم المعونات التي تتجاوز ثلاثة مليارات دولار للضغط على اسرائيل لاجبارها على احترام القانون الدولي واتفاقيات جنيف بصدد حقوق الانسان الفلسطيني.

وزادت فرجينيا بشري على ذلك بإهدائنا تقريرا مطولا عن وحشية الجرائم الامريكية في العراق في عهد الرئيس بوش الأب، حيث حملت حملة شعواء على الجرائم الأمريكية ضد شعب العراق ونشرت ذلك في امريكا ذاتها وفي العالم بأكثر مما قد تفعله أي حكومة أو هيئة عربية.

هذه منظمة قوية وشجاعة في الدفاع عن حقوق الانسان في الشرق الأوسط بالذات، وقد خبرناها في الكثير من احداث وقضايا ومشاكل حقوق الانسان المصري والعرب، فكانت تثبت في كل مرة انها منظمة رائدة في حقوق الانسان ولا تنحاز للادارة الامريكية أو تخضع لاسرائيل واللوبي الصهيوني».

ونظل مع القضاة وهيومان رايتس، ومقال المستشار هشام البسطويسي عضو مجلس ادارة نادي القضاة الذي كتب مقالا يوم الاربعاء في «المصري اليوم» دافع فيه عن المنظمة ولقاء النادي بممثليها وشن هجوما عنيفا ضد نظام الحكم واتهمه ببيع البلاد، وقال: «فعندما يستجيب نادي القضاة لطلب من منظمة دولية ذات مصداقية عالية كمنظمة هيومان رايتس ووتش، التي أدانت عمليات التعذيب في سجن أبو غريب وغوانتانامو وإدانت الجدار العازل الذي أقامته اسرائيل على الارض الفلسطينية وادانت قطع اسرائيل الكهرباء عن قطاع غزة والممارسات الامريكية في العراق وانتقدت عدم توفير ضمانات محاكمة عادلة لصدام حسين، ويمكن الاطلاع على كل ذلك على موقعها: www.hrw.org لاجراء مباحثات وتبادل لوجهات النظر حول حالة استقلال القضاء في مصر وظروف احالة عدد من نواب محكمة النقض الى التحقيق لمجرد أنهم مارسوا حقهم الدستوري والانساني في التعبير عن رأيهم في وسائل الاعلام، بهدف الوصول الى ما يحقق امل الشعب المصري في قضاء مستقل ومحايد، لا يخضع للسلطة التنفيذية ولا يقع تحت سيطرة أي قوى سياسية فهي ـ لا شك ـ مصلحة وطنية وتكون هذه المباحثات والاتصالات من صميم التعاون الدولي بين منظمات المجتمع المدني بغير شبهة، اما اذا كانت الاتصالات والمباحثات والاتفاقيات تدور حول طلبات استضافة بعض المختطفين او المقبوض عليهم من دول اجنبية للتحقيق معهم وتسجيل اعترافاتهم أو التفاوض على سبل تفكيك الصناعة الوطنية أو رهن ممتلكات الشعب وإرادته وفاء لديون وقروض يتحملها الشعب، كما فعل الخديو اسماعيل او غير ذلك من أمور كثيرة، لا محل لتعدادها مما يتعارض مع المصلحة الوطنية للشعب فهو ـ لا شك ـ يصدق عليه وصف الرضوخ للتدخل الاجنبي ولا يمكن وصفه بالتعاون اخيرا أعود الى ما ألح عليه دائما وهو ضرورة التدقيق فيما نستخدمه من مفردات فنعمل فيها العقل بدلا من العواطف والانفعالات فلو فعلنا لتبين لنا مقدار البون بين التعاون الدولي والتدخل الاجنبي بمثل ما تبين لنا ـ اذا كان قد تبين فعلا ـ مقدار المسافة الشاسعة بين انتقاد الحكومة وخيانة الوطن وأن الحاكم ليس هو الوطن».

الرئيس مبارك

والى رئيسنا وتعليقات ضده لم تعجبني ابدا، وكيف لا اتضايق وعبدالحليم قنديل رئيس التحرير المشارك لـ«الكرامة» يقول: «مصر تنتظر ربما بدون النظارات الواقية يوم الكسوف الكلي لحكم عائلة مبارك، المناسبة اجتماع العائلة لمشاهدة الكسوف الكلي للشمس في فرح عبثي، كأنه واحد من انجازات الرئيس».

وقد تعمدت ان لا اذكر انه زميلي وصديقي وهو ما ينطبق ايضا على من ليس زميلنا ولا صديقنا سليمان الحكيم لانه قال في نفس العدد: «اعتذر الرئيس مبارك عن عدم حضور مؤتمر القمة بالخرطوم ليتفرغ لمشاهدة كسوف الشمس في السلوم، والرئيس معذور لانه كان قد سمع عن الظاهرة ولم يكن يعرف الكسوف من قبل، حاجة تكسف».

ما هذا الكلام؟ بل أنا المكسوف لنقلي هذا الكلام، وغيره مثل قول من ليس زميلنا ولا صديقنا ابراهيم عيسى رئيس تحرير «الدستور»: «حين قال الرئيس مبارك ذات مرة انه لم يعين نائبا لرئيس الجمهورية لأنه لم يجد شخصا مناسبا وقال ان السادات كان محظوظا ان وجده بينما هو ليس محظوظا بدليل انه لم يقابل أحدا مثله، صمت رجال مصر عن التعليق، لم يرد أي واحد ممن يتمسحون ببلاط قصر الرئاسة ولم يلفظ بحرف معترض أي رجل طويل عريض ممن يلوثون مصر بوجودهم ولم يحس أي مسؤول أو وزير على دمه فانتفض لرجال مصر الذين اتهمهم الرئيس مبارك بأن أيا منهم لا يصل الى مكانته ومميزاته وصفته، خرس الرجالة في البلد شنبات المعارضة من المسنين تحملوا الاهانة وربما لم يشعروا بها اصلا.

وعندما يسرب مبارك عبر مندوبيه وحراس نظامه وخدم بلاط عرشه كلاما من قبيل انه لا يوجد بديل لمبارك كأن مصر الشامخة السامقة عقمت ان تنجب مثل الرئيس، كأنه الفرد الصمد الواحد الأحد، فهذا يعني انه لا يصلح ان يصير فرعونا إلا ابن فرعون شخصيا، اظن ان مبارك فعلا لا يرى رجالا حوله وأمامه.

لهذا يمكن ان أزعم باطمئنان شديد ان مشكلة مصر ليست مشكلة في السياسة ولكن مشكلة في الرجالة نعم البلد مبقاش فيها رجالة.

أما من واجه من خارج الحقل السياسي فكان النظام بقمعه وفاشيته وقهره وجهاز أمنه الغاشم كفيلا بتوجيه حملات تشويه سمعة ضده واغتيال شخصية معنوية وانتهاك خصوصية من خلال مخبري الصحافة الحكومية وامناء الشرطة وصحافيي المباحث وعملاء الامن والمنافقين الافاقين وبرعاية من المسؤولين الذين يوجهون الاوامر ـ هشك عليه ـ او بتلفيق التهم لهذا الرجل أو ذاك، أو اتهام هذا النظام الدكتاتوري الفاسد الرجال المعارضين له بتهم العمالة للغرب والأمريكان وهي صفاقة لا تجدها إلا في هذا العصر الذي يتميز بأن حكامه ومسؤوليه امريكان بالجنسية أو بالولاء السياسي والعقائدي أو بالبيزنس والمصلحة ومع ذلك فهو لا يكف عن اتهام أي معارض له بالعمالة لأمريكا على طريقة راقصات شارع محمد علي اللي فيها تجيبه فيك نجح نظام مبارك في قمع وقهر الرجال فلم يعد على الساحة إلا أشباه الرجال الذين لا يتعب هذا النظام في التعامل معهم أبدا فكل رجل في هذا البلد سواء في الجامعة او اجهزة الحكومة أو مؤسسات البحث او هيئات الاعلام او أحزاب المعارضة له ثمن وسعر ويبدو ان أحد ان النظام بات على قناعة راسخة بأنه فعلا مفيش رجالة فهؤلاء يركعون امام الضابط ويسجدون امام الحاكم ومجرد ان يكلم مبارك واحد منهم في التليفون يتحولون الى عبيد احسانات نظامه فورا.

جمال مبارك

والى جمال مبارك وحديثه في التلفزيون الذي لم يعجب زميلنا بـ«الدستور» خالد البلشي فقال عنه: «ربما لم أكن سأصل الى منصبي بالحزب الوطني لو لم اكن ابن الرئيس ـ هكذا اعترف جمال مبارك في حواره ـ المعجزة ـ مع ليس الحديدي خلال الاسبوع الماضي بأنه لم يكن ليصل الى ما وصل اليه في الحزب والدولة ـ هو امر لو تعلمون عظيم وخطير علينا بالطبع ـ لولا انه ابن السيد الرئيس الذي مكث على قلوبنا ما يقرب من ربع قرن تجرعنا خلاله كل ألوان الفقر والقهر والذل والفساد والخنوع، وهو اعتراف يشي في حد ذاته بطبيعة هذا النظام الذي يحكمنا وطبيعة وآليات الصعود داخله القائمة غريبة، اصر على نفي أي علاقة بين ـ بيزنسه ـ الخاص وبين موقع السيد والده ولا الصعود الذي وصل اليه لأنه ابنه، كما اصروا على نفي أي علاقة بين كل ذلك وبين الاستثمارات التي تنهال على كل موقع يشغله لدرجة جعلت ـ الناشقة في ايده خضرة ـ مشيرا الى انه لا توجد علاقة بين عمله واستثماراته ـ الشفافة ـ وبين منصبه الذي وصل اليه والذي اصبح من خلاله واليا على كل من يديرون عجلة الاستثمار في مصر بكل ما تشهده من فساد ومحسوبية وإهدار الاموال البلاد والعباد، وهو النفي الذي لم يقدم السيد ابن الرئيس أي دليل على صحته، فما بال هؤلاء الذين لم يقدم السيد ابن الرئيس أي دليل على صحته، فما بال هؤلاء الذين فتحوا امامه أبواب مصر على مصراعيها ليقعد على تلها خليفة للسيد والده ـ رغم اصرار سيادته على نفي ذلك ـ فهل سيستكثرون عليه بعض مئات الملايين او حتى المليارات وهم يعلمون ان الجمل بما حمل وأن مصر بكل خيراتها وثرواتها ستؤول اليه خالصة مخلصة غدا على الاقل لو شاور عقله وقرر الرجوع عما صرح به وهي عادة ليست بغريبة على سعادة الرئيس ونظامه، وقانونا إلغاء الحبس في قضايا النشر والسلطة القضائية ليسا بعيدين.

هذا المنطق المغلوط ومحاولة الاستخفاف بالعقول كان هو المنطق الذي أدار به السيد ابن الرئيس اجزاء كبيرة من حديثه مع مديرة حملة والده الدعائية دون ان يتوقف امام الدلالات الحقيقية لما يقوله باعتبار ان احدا لن يراجعه فيما يقوله خاصة فيما يتعلق برده على ما طرحناه حول دور الشركة التي يعمل عضوا بمجلس ادارتها في خراب بيوت صغار المستثمرين في البورصة وطبيعة استثماراته داخلها، وهو الرد الذي جاء تكرارا لما نشرته احدى الصحف اليومية في نفس اليوم في مصادفة غريبة طبعا ليس لها علاقة بسلطة ابن الرئيس ولا بدوره ولا بأن امانة السياسات التي يرأسها كانت هي التي قامت باختيار هؤلاء الذين قاموا بالرد والذين جعلونا نترحم على سواد أيام من سبقوهم.

اما استشاري الطب النفسي الدكتور محمد المهدي فقد قال في «الدستور» ايضا انه حرص على مشاهدة الحوار، وبدأ في مراقبة حركات جمال وحلل بعضها نفسيا بقوله: «وحركات الجسد لدى السيد جمال ليست بالكثرة التي تساعد على قراءته باستفاضة وقد شكل هذا صعوبة في البداية ولكن حتى ندرة الحركات لها دلالة هامة فهي تعني ضعف التلقائية وكثرة الدفاعات والمحاذير لدى المتحدث وتعني التزامه الشديد بقواعد صارمة في التعامل وتعني حرصه على اخفاء ما يقصد، وتعني فقرا وجدانيا، وتعني بعدا عن الحميمية والدفء الانساني وتعني احادية او اختزالية في الرؤية وتعني عدم وجود تساؤلات أو، حيرة او دهشة او احتمالات اخرى، فكل شيء معروف ومحدد سلفا ولا مكان للتساؤل او الاختلاف، ورغم ندرة وفقر الايماءات والاشارات إلا انه كانت تغلب حركات نمطية باليدين، اشبه بسكين عريضة وسميكة يستخدمها الجزار في تقطيع اللحم وتكسير العظم وحركة ـ الصدادات ـ وحركة السبابة فوق اليد المضمومة، ولمن لا يقرأ بهذه الطريقة اوضح ان حركة الساطور ضم اصابع اليد اليمنى بجوار بعضها مع فرد كف اليد بحيث تصبح الكف مثل الساطور الذي سبق وصفه لمن لا يعرفه أو نسيه، وهذا الكف مثل الساطور يتحرك اثناء الكلام اعلى وأسفل وربما يصل الى المنضدة فيحدث صوتا وهذه الحركة تعني اعتزاز الشخص برأيه وتصميمه عليه لاقصى درجة وعدم رؤيته لاحتمالات اخرى وهذه الحركة مأخوذة من موقف الجزار وهو يمسك بالساطور ويهوي به على قطعة اللحم او العظم، يريد ان يقطعها او يكسرها دون تردد اما حركة ـ الصدادات فهي رفع الكفين الى مستوى الصدد وفرد الاصابع قليلا وتقريبا اطراف اصابع الكفين المفرودتين من بعضهما من وقت لآخر بحيث يكون ظهر الكفين تجاه المستمع وباختصار فان الكفين مع الاصابع يشكلان صدادات بين المتحدث والمتلقي وكأن المتحدث يصد الرسائل القادمة ـ أو محتملة القدوم من ناحية المتلقي ـ وكأنه يقول له استمع لي ولا تحاول ان تقول شيئا او تغير شيئا فسأصد كل الرسائل الواردة منك».

أهذا تحليل؟ لقد دارت رأسي منه وأصبت بالارتباك فكيف سأتمكن من اكمال تقرير اليوم خاصة وان هناك من شبه جمال تشبيهات اخرى مثل زميلنا محمد نور الذي قال في صحيفة «الغد»: «قديما قالوا اذا اراد الله هلاك نملة أنبت لها أجنحة، فالنملة التي يمكن ان تأكل فيلا بالصبر، اذا أراد لها الله الهلاك انبت على جانبيها اجنحة تجعلها تسعى ان تطير فتسقط ولعل بعض الذين يسعون الى انبات اجنحة لجناح جمال مبارك في الحزب الوطني او رجاله هم من الذين يتعجلون سقوط الرجل وهو لم يكمل 1950 يوما من ميلاده السياسي والحزبي».

وبنفس المنطق ـ منطق انبات الاجنحة ـ هو ما يحدث من ممارسة عملية ابعاد لكل من يخشي يوما على جمال منه او يحتمل ان ينافسه ففي الوقت الذي كرس فيه صديقه احمد عز فكرة الاحتكار لسلعة الحديد كرس جمال الاحتكار للسلطة والنفوذ والقرار ممارسا أبشع انواع الاحتكار وما نال حزب الغد وكذلك ما نال اصدقاء الامس اعداء اليوم، أوضح دليل لعملية الاحتكار والاستبعاد والتوسيع التي يمارسها حول جمال حفنة من ضعفاء النفوس الساعين لممارسة هذا الدور ليضمنوا لانفسهم مقعدا في أي عربة في أي قطار مرتكبين جريمة كبرى وهي اغتيال الكافة كي يظل جمال هو المرشح والمنافس الوحيد لجمال!!

نملة لها اجنحة وقبلها ساطور؟ هذا حوار؟

لا، لا، هؤلاء أناس قرأنا لهم كثيرا وأن لنا ان نقرأ لغيرهم، مثل زميلنا احمد ايوب الذي كتب بالمصادفة في نفس اليوم ـ الاربعاء ـ في «نهضة مصر» مقالا عنوانه ـ هل يقتنع اولاد الحلال؟ قال فيه:

«بالطبع كلام امين السياسات هذه المرة سيكون له تأثير كبير في ايقاف شائعات هؤلاء عند حدها لانه جاء في حوار تلفزيوني كثيف المشاهدة ومع محاورة متميزة وتفهم معنى الحوار وكيف تخرج الاجابات ممن تحاوره.

ومن المؤكد ان هؤلاء المواطنين العاديين صدقوا جمال مبارك فيما قاله لانه كان يتحدث بصراحة في اول ظهور تلفزيوني له ولم يكن متكلفا او متعاليا كما يحاول ان يصوره البعض من قبيل اجبار الناس على كراهيته، وانما كان البرنامج فرصة كسب منها جمال مبارك كثيرا وأهم مكاسبه أنه أفشل محاولات اهل الكراهية وظهركما يعرفه كل من اقترب منه وتعامل معه.

طبيعي في تعامله وحواره متواضع في آرائه واضح في موقفه، مثقف، هادئ وبالمناسبة الحوار كان على الهواء مباشرة وليس مسجلاً أي أنه بدون مونتاج او مراجعات والمداخلات التلفزيونية حقيقية وليست سابقة الاعداد والتجهيز.

ولو ان احدا من هواة التهليل واشعال نيران الشكل لدى الناس كلف نفسه بالنزول الى الشارع مرة ليسأل خلق الله البسطاء سيكتشف انهم لا يكرهون هذا الرجل بل يرونه شابا مصريا يحب هذا البلد مثلهم تماما، وكونه ابن رئيس الجمهورية لا يعيبه بل يزيده حبا عندهم لانه لا يعتمد على والده ولا يعتبره دافعا له في العمل العام ـ بل وكما قال ان وصوله العمل العام والحزب لم يكن لوالده علم به ولم يتحدث معه فيه.

أعلم طبعا ان هذا لن يعجب الكثيرين من هؤلاء وسيعدونني من الممالئين او المنافقين والباحثين عن مكان او مكافأة ولهم ما يعتقدون لكن ما أؤمن به شخ